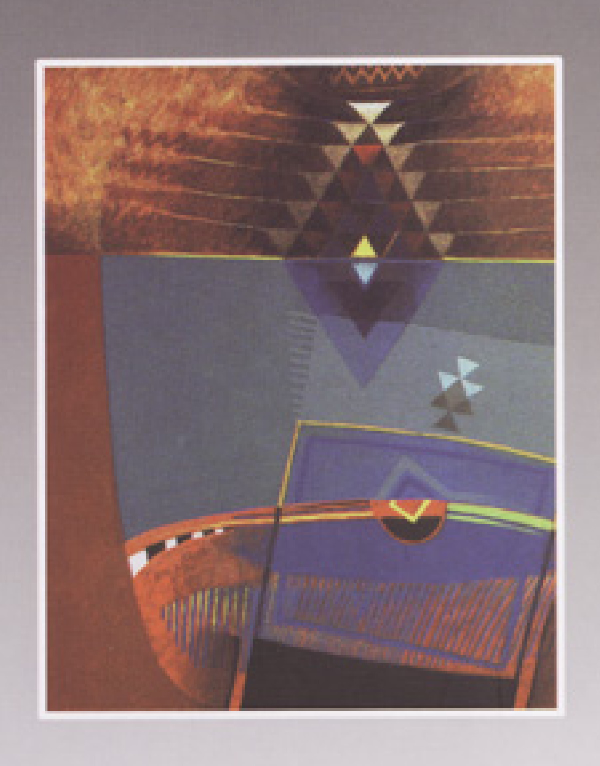
ALI SHARIATI

الآثار الكاملة (٢٦)

علي شريعتي





سيماء محمد (ص)

دار الأمير

سيماء محمد (ص)


بسم الله الرحمن الرحيم

سلسلة الآثار الكاملة - ٢١-

سيماء محمد (ص)

الشهيد الدكتور علي شريعتي

ترجمة

الدكتور السيد جعفر سامي الدبوني

حقّقه وحرره للنشر

محمد حسين بزّي

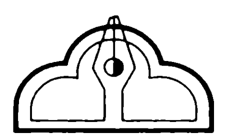
مراجعة

حسين علي شعيب

دار الأمير

إسم الكتـاب	سيماء محمد(ص)
إسم المؤلــف	د. علي شريعتي
إسم المترجم	د. السيد جعفر سامي الدبوني
تنضيد وإخراج	زهرين
تصميم الغلاف	بشير محمد
الترقيم الدولي	ISBN 978-9953-494-27-2
الطبعة الأولى	١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م
الطبعة الثانية	١٤٢٨ هـ ـ ٢٠٠٧ م (بعد تدمير الدار خلال حرب تموز ٢٠٠٦ م)
الناشـــــر	دار الأمير للثقافة والعلوم ش.م.م

التوزيع في العراق:
دار الباقر ــ النجف الاشرف هــ :07801263579



دار الأمير للثقافة والعلوم
مؤسسة ثقافية للتأليف والترجمة والنشر ـ بيروت ـ لبنان
تلفاكس: 49 64 27 1 961 +
ص.ب: 113/5551 الحمرا ـ بيروت ـ لبنان
Website: //http:/www.daralameer.com
E-mail: daralameer@daralameer.com



مؤسسة نشر آثار
الدكتور علي شريعتي
تلفاكس: 2232729 21 98 +
ص.ب: 19395-6516 طهران
www.shariati.com

وتستمر دار الأمير ...

إذا كانت مسؤولية المثقف تجاه أمته وتحديات لحظتها التاريخية هي الهم والرسالة التي حملها علي شريعتي، فإن نشر فكر الوعي الحضاري بدوره مسؤولية، إذ كيف يصل هذا الفكر للناس دون ناشر مسؤول؛ يعطيه العناية ويكفل أن يظل هذا الزاد الثقافي حاضراً في الوعي؛ متاحاً للأجيال لتنهل منه في صياغتها لرؤى التجديد والنهضة وتستثمره في حركة التغيير وصناعة المستقبل.

وقد وعت دار الأمير هذه المسؤولية منذ تأسيسها عام ١٩٩١م، وحملتها بأمانة، وتحملت تبعاتها المادية والمعنوية في مواجهة حسابات السوق وفكر الجمود، ورغم الدمار الكُلّي الذي لحق بالدار في حرب تموز ٢٠٠٦م، والذي كان أول ضحاياها كتب علي شريعتي التي أحرقتها صواريخ الهمجية الصهيونية؛ حين دكّت مقرّ دار الأمير في بيروت ومعرض الدار في بنت جبيل، فإن إرادة البقاء وعزيمة الإنتصار بقيت متوهجة، وها هي دار الأمير تستأنف دورها ونضالها بعد أشهرٍ معدودةٍ من العدوان، وتقدم من جديد فكر شريعتي في إخراج متميز، وتنهض من بين الركام مستعيدة دورها المسؤول في نشر ثقافة العودة إلى الذات، والنهضة، والمقاومة في مسيرة الفلاح التي شعارها: **إلهي علمني كيف أحيا . . ، أمّا كيف أموت، فإني سأعرفه**. والحمد لله الذي نصر عبده.

محمد حسين بزي

مقدمة

ولد علي شريعتي في شهر كانون الأول من العام ١٩٣٣م، في قرية «مزينان»، وهي من قرى سبزوار، احدى مدن محافظة خراسان، التي تقع على حافة الصحراء الكبرى المعروفة باسم «دشت گوير».

والده محمد تقي شريعتي، أحد المفسرين المعروفين للقرآن الكريم، ومن كبار المفكرين والمجاهدين الإسلاميين، والمؤسّس «لمركز نشر الحقائق الإسلامية»، الَّذي اضطلع بمسؤولية توعية الجماهير بالدور الحقيقي للدين في المجتمع.

بدأ علي شريعتي نشاطه السياسي مبكراً، حيث انضم إلى جناح الشباب في الجبهة الوطنية وهو لم يزل بعد طالباً في المدرسة الثانوية.

انضم شريعتي عام (١٩٥٤) إلى حركة المقاومة الوطنية ـ بعد سقوط حكومة مصدق ـ التي أسسها كل من آية الله

الزنجاني وآية الله الطالقاني ومهدي بازركان.

دخل شريعتي عام (١٩٥٤) كلية الآداب بجامعة مشهد.

أنشأ في الجامعة حلقات دراسية لمناقشة قضايا الإسلام، مستعيناً بجهود والده في هذا المجال.

سجن لمدة ستة أشهر، ولم يكن بعد قد تخرج من الجامعة، بعدما ضُرِبت حركة المقاومة الوطنية بعنف من قبل السلطة وتم تشتيتها، عام (١٩٥٨).

بعد تخرّجه من الجامعة بدرجة امتياز في الأدب، أُرسل في بعثة دراسية إلى فرنسا عام (١٩٥٩). وهناك واصل نشاطه السياسي إلى جانب دراسته، فأسس حركة تحرير إيران ـ فرع أوروبا، التي أنشأها آية الله الطالقاني ومهدي بازركان عام (١٩٦١).

في فرنسا، درس شريعتي الأديان وعلم الإجتماع والآداب، واختار علم الإجتماع الديني ميداناً لتخصصه، وكأنه كان يستشرف المستقبل عندما رأى أن الشعوب الإسلامية المقهورة لن تتحرك إلاّ بالدين، ولن تنجو إلاّ بالإسلام، فنال الدكتوراة في علم الاجتماع الديني، كما نال دكتوراة ثانية في تاريخ الأديان.

ظل علي شريعتي مناضلاً من أجل تنظيم الحركة

الإسلامية في الخارج ولعب دوراً في تكوين النوىٰ الأولى للجمعيات الإسلامية للطلبة الإيرانيين في الخارج.

كذلك، كان من أبرز النشطاء في دعم الثورة الجزائرية، وتنظيم التظاهرات ونشاطات التضامن معها. وقد تعرّف هناك على مناضلي العالم الثالث من أمثال ايماسيزار، وفرانز فانون، الذي ترجم للفارسية قسماً من كتابه «معذبو الأرض».

عاد شريعتي إلى إيران عام ١٩٦٣)، وقد أُلقي القبض عليه على الحدود. ثم أطلق سراحه بعد فترة وعين معلماً في المدارس الابتدائية في احدىٰ القرى النائية، توهيناً لشخصيته العلمية والآكاديمية.

أصَّل شريعتي نشاطه الثقافي في منفاه، وأخذ يلقي الدروس والمحاضرات العامة ذات الهدف التنويري الديني.

كان صوت شريعتي مخلصاً عالماً بعيد الغور واضحاً في نفس الوقت، بحيث كان عدد المشاركين في ندواته ومحاضراته لا يقل عن ثلاثة آلاف أو أربعة آلاف مشترك.

تستسلم السلطة لنفوذ شريعتي، فتنقله مدرساً في جامعة مشهد. وهناك يواصل شريعتي نشاطه الفكري والثقافي، ويتألق، طيلة الأربع سنوات والنصف التي قضاها في الجامعة،

استاذاً مؤمناً أصيل الفكر والثقافة.

ضاقت السلطة ذرعاً بنشاط شريعتي، فتقرر إبعاده عن الجامعة وإحالته على التقاعد.

وفي العام (١٩٦٩)، تأسست في طهران حسينية الإرشاد، لتصبح بعد فترة، مركزاً لنشاطات علي شريعتي، حيث قام بإلقاء محاضرات منتظمة حول الإسلام وتاريخ الشيعة، مبلوراً من خلالها منظومة أفكاره حول الإسلام، والتي أراد منها تصحيح مفاهيم سائدة خاطئة عن الإسلام، كما أراد منها شحذ الإسلام سلاحاً للتعبئة الفكرية والسياسية في أوساط الشباب.

التفَّ حول حسنية الإرشاد ونشاطاتها جيل كامل من الشباب وكانت محاضرات شريعتي تطبع كراريس وتسجل أشرطة لتوزّع بالآلاف في كافة أنحاء إيران. لقد حوّل المجتمع كله إلى جامعة يلقي فيها دروسه ومحاضراته.

لا تجد السلطة بداً من اغلاق حسينية الإرشاد عام (١٩٧٣)، واعتقال علي شريعتي ووالده، ليبقىٰ في السجن ثمانية عشر شهراً متعرضاً لأعتى صنوف التعذيب.

أُطلق سراحه عام (١٩٧٥)، بعد أن تدخل من أجله المسؤولون الجزائريون. ولكنه وضع تحت المراقبة ومنع من

أية نشاطات علنية.

غادر طهران متوجهاً إلى لندن مروراً ببلجيكا وفرنسا في آذار عام (١٩٧٧)، ليبدأ من لندن مرحلة جديدة من النشاط خارج البلاد، بعد أن سدت في وجهه كل السبل في إيران.

قتل بعد شهر من وجوده في لندن بطريقة غامضة. وقد نقل جثمانه إلى سوريا بمبادرة من الإمام السيد موسى الصدر، ليدفن إلى جوار مرقد السيدة زينب بنت الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

خلّف الدكتور علي شريعتي ما يزيد على المائة عمل، ما بين فلسفي وفكري وأدبي، تتخذ كلها من جذوة الإسلام القبس الذي يضيء الطريق أمام جماهير الشباب في صفوف الحركة الإسلامية في إيران والعالم، ليكون في موته أكثر حياة وأكثر حضوراً.

القيصر والحكيم والنبي

الوجوه الظاهرة في التاريخ:

القيصر

القيصر كما يوضح التاريخ، رجل خطير، ذو عينين تفيضان قسوة، ومظهر خشن ومخيف، ويد ممسكة بسيف مسلول تقطر منه دماء ساخنة، لا، بل تهطل منه. وفي الحاشية، وجوه شهيرة نعرفها جيداً: الجلاد، والرمَّال، والشاعر، والنديم، والكاتب، والمستوفي، وقهرمان الحرم، و«خدمة خلواته»... رأسماله الذهب والزور! وملهاته الحرب والطرب.. ولا شيء آخر!.

الحكيم:

والوجه الآخر هو الحكيم، البصير في كل عصر وقوم،

نراه حيناً في حضرة القيصر، متربعاً إلى جانب الجلاد والنديم والغلام، وحيناً في خلوته، مسنداً رأسه على يده، يفكر، وقد رفَّ باجنحة خياله إلى السماوات العلى، غائباً عن الزمان والمكان.

قتل الفرس لكثرة ما أجراه ليلاً
وبقي وقت السحر مضطرباً عاجزاً[١]

قد جذبه «فهم حقائق الكون»، غارق في حالاته الغريبة، وأفكاره العميقة.

حبيس القلّة من المستنيرين والعلماء والخواص من كل مجتمع، ويزداد بعداً ما طالت حياته، عن حضيض الحياة الدنيئة، والأغراض التافهة، والآمال الحقيرة التي تراود العوام الذين هم كالأنعام!

وأكثر وجوه الحكمة تألقاً في تاريخ البشر بلا جدال، هو (سقراط)، ذلك الذي بقيت أقواله طوال خمسة وعشرين قرناً، أقواتاً للفكر، وشراباً سائغاً للأفهام. وهو مثال التأمل

---

(١) في العربية هناك بيت شعر يقارب هذا المعنى وهو:
قد أماتَ السّرحوب من خبِّ ليلٍ فإذا هو في الصبح أشعثُ تائه
والسرجوب الفرس الطويل خاص بالمؤنث.

البشري، رائد العوالم الغريبة، التي لم تطأها قدم أي حكيم، ذلك الذي صعد إلى قمة «لست أدري» ولأول مرة. وهو بستاني رياض النبوغ الرائعة: بدءاً من (أفلاطون) و(أرسطو) إلى (سن اغوستن وسو أوجين)[١]، ومن ثم إلى (الكندي وابن سينا وابن رشد)... ولكن إلى أي أمرٍ دعا؟ الفلاسفة وحدهم هم القادرون على الجواب، وبماذا يُثمَّن؟ إن عشاق المنطق وحدهم هم الذين يثمنون، أما أبناء (أثينا) فهم لا يعلمون، وكذلك أبناء أي مصر، وأبناء أي عصر. ولو أننا رفعنا (سقراط وتلامذته من التاريخ)، ماذا سيحصل؟ إن المدارس ودور الكتب وحدها هي التي سيرتفع عويلها، أما الناس فلن ينتبهوا. أليس هؤلاء هم الذين عدّوا الديمقراطية اليونانية بلاءً، واعتبروا حكم الشعب للبلاد مصيبة، وكيف كانوا يتحسرون على حكومة الأشراف؟[٢].

---

(١) سو (أوجين) Sue (١٨٠٤ ـ ١٨٥٧): أديب وروائي فرنسي شهير، ولد في باريس. اشتهر بروايات مسلسلة تصف حياة البؤساء في أحياء باريس الفقيرة، منهما «أسرار باريس»، «اليهودي التائه». الناشر.

(٢) شوارتز عالم الرياضيات والاجتماع الفرنسي الشهير يقول:
مع ما أبدت اليونان خلال قرون من نبوغ في الفلسفة والفنون، فلم يتم اختراع عجلة واحدة. وذلك لأن أحمالهم الثقيلة كان يحملها العبيد وهم كثرة، ومثل هذا لم يحصل المفكرين الذين كانوا غرباء عن هذه الطبقة عبء التفكير بوسيلة لذلك.

لقد كانوا على حق! لأنهم هم الذي تلوًّوا تحت سياط الاشراف، وأثقلتهم الأعباء كما تثقل ظهر الدواب، ولم يكن لهم من حق إلاّ حق السكوت والجوع، في مجتمع «أثينا» الاستقراطي. ولكنهم اليوم، وقد أمسكوا بأزمّة الحكم، وقضوا ـ لأول مرة في التاريخ ـ على خرافة حكومة الأشراف الأزلية الأبدية الطبيعية. وما أدراهم ما عمق كلمة (سقراط) وجمالها الذي يجلْبب جميع حكمته إذ يقول:

(لولم أخف من أنّ يعيرني أبناء «أثينا» بأن سقراط ادّعى معرفة جميع العلوم لقلت: لا أعلم شيئاً!).

إن جاهلاً مثل «إسبرطقوس»[1] أجدى للغرب وانفع من مجمع علمي «أكاديمية» حافل برجال كـ«سقراط» و«أفلاطون» و«أرسطو». كما أن رجلاً عربياً بدوياً كـ«أبي ذر الغفاري» لأنفع للشرق، من مئات من «ابن سينا» وابن رشد» و«ملا صدرا».

---

(١) إسبرطقوس Spartacus: تزعم ثورة العبيد في إيطاليا عام ٧٣ ـ ٧١ ق.م. «الناشر».

النبي:

الوجه الآخر، هو «النبي». هو وجه الذين أشرقوا في ظلمات التاريخ. ومع كل ما هم عليه من الاختلاف، في القول والفعل، فهم متشابهون إلى حد بعيد.

إن الصدق والاخلاص والحب الذي يطفح من سلوكهم، لأنصع ظهوراً من الأبهة والجلال. وجوه أخاذة محبوبة، يسطع من جبينها نور ساحر يبهر النفوس ويأسر العيون، نور محسوس كابتسامة الفجر، ولكنه كسّر الغيب مجهول. إن أبسط النظرات تستطيع أن ترى كل ذلك، ولكن أكثر العبقريات تعقيداً ونبوغاً، لا تستطيع إليه سبيلاً إلاّ بصعوبة وجهد.

إن الأرواح التي تدق رهافة حسها أمام فتنة الجمال، وروعة المعنى، وسحر الأسرار، لتحس كل ذلك، تحس حرارة النور، وسرّ الروعة، كأنهما حرارة الحب، أو بارقة آمل، ولطف الجمال الظاهر والباطن، وتدرك ذلك في شعاع سيمائهم الساحر الأخاذ، في سر نظراتهم، ونبرات أصواتهم، وعطر أفكارهم، في مشيتهم وجلستهم، وكلامهم وسكوتهم، وفي معيشتهم، ترى كل ذلك، وتدركه، وتلمسه، وتحسّه.

تشعر بهذا التيار الروحي العجيب الملهم، الذي يدب في وجودها وتمتلىء به، وترتوي منه وتطفح به وتتولّه. ومن هنا، وحيثما نطل من قمة التاريخ، فأننا نرىٰ الإنسان، دائماً وفي كل مكان، يبحث عن هذه الوجوه البسيطة، الغريبة، وقد تسمرت حدقتاه فيها بكل تعجب وانجذاب. لقد توردت هذه الوجوه من نار خفيةٍ، وعادت تتشوق لهفىٰ إلى الموت.

الأنبياء، حكام القلوب بلا منازع. لقد امتطوا وحش التاريخ الجامح، وأخذوا بعنانه، وجعلوا يسوقونه بسياط خفية لا زال صوتها يموج تحت قبة السماء، وتصيخ إليه الأسماع، ويدفعون إلى الأمام، ركب الإنسانية العظيم.

إن التاريخ ليحدّثنا، أنه حيثما ضل الركب الطريق، أو كفَّ عن الحدو، تجلّى من متاهة الغيب، فارس جبار، وجعل القوم «يتحركون» أو أنه جعلهم يرتادون «طريقاً جديدة»[1].

إننا لا نتحدث هنا عن الإيمان أو عدمه. ولكن الذي يعلم تاريخ الإنسان، يعلم أين تعلم، وفي أية مدرسة، ومن هم الذين قاموا بتعليمه وتربيته. فالذي يعرف التاريخ

---

(١) نعني أن النبي كان كالمحرّك وكالمصباح لقافلة البشرية.

وطبيعته، لا مناص له من الاعتراف بأن التاريخ هو أشد موجودات هذا العالم تديناً وألصقها بالأديان.

بيد أن هؤلاء الأنبياء، يمكن أن يقسموا في عملية تقسيم جماعي واسع إلى طائفتين: أنبياء غير ساميين (إيران، والصين، والهند، أو الآريون، والصفر). والأنبياء الساميون ونبي الإسلام من هذه الطائفة[١].

إن مجال البحث هنا واسع جداً، ومن المؤسف أن

---

(١) لقد تردد هذا السؤال على أفواه الجميع، وفي كل مكان؛ لماذا ظهرت الأديان كلّها في الشرق؟ لم يكن الأمر كذلك أبداً، فحتى الهنود الحمر، في أمريكا الشمالية، وقبائل استراليا، كانت لهم عقائد دينية خاصة. ولقد بين ذلك علماء الأجناس ـ الذين بحثوا في عقائد الشعوب والأقوام المبتدية، في القرن التاسع عشر، وأوائل القرن العشرين، أمثال: سپنسر، موليز، موس، لوى برول، وحتى دوركهايم، وماكس فيبر ـ بينوا كل ذلك وبحثوه. ولكننا حينما نتحدث عن الأنبياء الكبار، فإن الحضارة والمدنية كانت في الشرق، وكان لا بد من وجود أنبياء كبار هناك. ثم انتقلت الأديان الشرقية إلى الغرب، مع حضارة الشرق ومدنيته. ألا ترى اليوم، أن الحضارة الغربية، والمدنية تزحفان من الغرب وتجرفان معهما مذاهب المدارس الفلسفية الكبرى؟
ألم تفد إلينا مع المذياع والشاشة الصغيرة (التلفاز) والطائرة والسيارة والقطار، وتعبيد الطرق، وطراز البناء، اشكال الحياة وآداب المعاشرة واسلوب المعيشة لكل من «سارتر» و«كامو» و«راسل» و«ماركس»؟ وكأننا ـ والحالة هذه ـ نتساءل: لماذا ظهر الفلاسفة، ومؤسسو المذاهب الاجتماعية والسياسية، والفكرية، جميعاً، من الغرب؟!

الوقت لا يتسع لهذا، ولكن الذي لا يمكن الكف عن التحدث عنه، هو الجذور الطبقية لهاتين الطائفتين.

إن التحليل الطبقي لكل مذهب عقائدي، أو مفكر ما، وعلى أساس من علم الاجتماع، يعد أساساً علمياً مثالياً لا بد لكل إنسان أن يذعن للنتائج التي يتمخض عنها هذا البحث، ذلك أنه الوسيلة المنطقية الوحيدة والعالمية لبحث المسائل العلمية، وحتى في مجال العلوم الإنسانية، ناهيك عما تتصف به هذه الطريقة من تخليص الباحث مما يعلق به من شبهة التعصب، وخاصة الأحكام المسبقة التي تُعدُّ من آفة البحث العلمي، وخاصة حينما يكون الدين موضوع البحث. بل إن كثيراً من الحقائق المجهولة، والوجوه الخفية والقلقة للقضية، لا يمكن حلّها إلا بهذا الطريق، ولا ينتظر أن تتضح إلا عنه. علماً أن مثل هذا الأسلوب ليعرفنا، على المحيط الاجتماعي، والجذور الطبقية لأي دين، أو شخصية، مما يمكننا من أصدار الأحكام بدقة أكبر.

إن أكبر أنبياء الجنسين الآرى والاصفر، هم (زرادشت، وبوذا ولائوتزو، وكونفشيوس).

ولا شك أن طريق كونفشيوس مخالف تماماً لـ(لائوتزو)،

ومذهب (زرادشت يناقض طريق (بوذا). إن (كونفشيوس) يفكر في المجتمع و(لائوتزو) يفكر في الفرد. هذا يفكر في الخارج وذاك في الداخل. أن (زرادشت) يقبل على الحياة، و(بوذا) يفر من الحياة. الأول ينظر إلى العالم نظرة واعية متفائلة، والثاني ينظر إليه نظرة سوداء متشائمة. إن (زرادشت) نبي النار الموقدة، و(بوذا) نبي النار الخابئة (النيرفانا). غير أن أحد علماء الاجتماع لا يعبأ بهذا الاختلاف والتناقض، فالمهم لديه هو نوع الحاجة ونوع الآلام، وطريقة رفع الحاجة، وعلاج الألام، وأخيراً مجال التفكير وعالم الحس، والاطار الاجتماعي والإنساني للأديان.

ومن هنا، فإن دراسة هذه الأديان وشرح أحوال هؤلاء الأنبياء، فيها ما يجذب الباحث الإجتماعي إلى حقيقة معينة، ويجعله مشدود الطرق إليها، حتى نهاية بحثه. وهي أنه يرى أن هؤلاء الأنبياء، نعم جميع الأنبياء وبدون استثناء، هم من طبقة الأشراف في مجتمعاتهم، من الأمراء أو أشباه الأمراء. أي أنهم من طبقة الأشراف، (فكونفشيوس) من أبناء الأشراف، و(زرادشت) ابن الكاهن العظيم، و(بوذا) أمير (بناوس)!.

ومن هنا تتضح مصائر الأشياء كلها، ويمكن أن يحدد مآل كل أمر قبل وقوعه[(١)]

ومن المقرر في علم الاجتماع، إن لكل طبقة لسان ومشاعر وأفكار ونوازع روحية ونفسية خاصة وحساسيات ورغبات، وخاصة الآمال، ونظرة خاصة إلى العالم. ونتيجة لذلك فإن آلامه وحاجاته ومحنه خاصة به[(٢)]. وفي مثل هذه الحالة، لنا أن نتساءل: كيف للدين أن يتحرر من جميع هذه الدواعي، ويخرج عن ضرورات هذه النوازع؟ أنه لا يستطيع، ولا يريد، ولا يجب له ذلك!.

---

(١) يمكن أن يقال: إذن لماذا رسخت هذه الأديان بشدة بين العامة أيضاً؟
أولاً: إن هذه الأديان تفقد خصوصياتها الطبقية البارزة بعد مدة، بل ويمكن أن تأخذ خصوصيات معاكسة (كما في المسيحية والإسلام).
ثانياً: ومن منظار علم النفس الاجتماعي، فإني اعتقد أن الآلام والمتطلبات النفسية ـ المعنوية والفكرية ـ دائماً تظهر في احدى الطبقات، إلاّ أن اتساعها لا يعرف حدّاً فسرعان ما تعم سائر المجتمع. حيث نرى الآن الكثير من الميول والاحساسات، لاسيما في الفنون، والأذواق الاجتماعية، والأفكار الحياتية، والفلسفية، والنظرة العالمية، لم تعد خاصة بالطبقة البرجوازية الأوروبية، بل نراها قد راجت على أشدها، وبين الطبقات المتوسطة، والمحرومة، في المجتمعات الأسيوية والافريقية..

(٢) بمعنى أنها تنبع من مستلزمات طبقته، وتعبر عن حاجات مكانته في المجتمع ـ المترجم.

لننظر إلى شاعر برجوازي: مم يتألم وعلام يئن؟ ما هي أوجاعه وآلامه؟ وكيف ينظر إلى الحياة والعالم؟ إن كلامه غير مفهوم لدى المحرومين. إن الكلمة الواحدة لا تعطي معنىً واحداً لفردين من طبقتين متفاوتتين من أبناء أمة واحدة، وإذا أدّت إلى معنى واحد في ذهنيهما، فإنها ـ بلا شك ـ لا تحمل إليهما نفس الروح والطعم واللطف والقيمة!.

إن كلمة الرغيف ـ في نظر الفلاح الذي يتحمل حمَّاره القيظ، وصبَّاءة القرّ، فيما يكدح للحصول على لقمة العيش ـ لا تعط نفس المعنى لدى الثري، الذي يأكل على أنغام الموسيقى الناعمة في جو من الألوان الحالمة، وحوله الولدان اللطاف يطوفون عليه، ونَدل رشيق قد ارتسمت على شفتيه ابتسامة آسرة، وحسناء تستهوى وتغري بالرقص، وشراب تتناوله الأكف، حتى تُستثار شهوة الأكل من كبد فرخ دجاجة، ابداً لا يمكن أن تعطي هذه الكلمة معنيين متساويين لدى الفقير المدقع والغني المتخوم. وماذا أقول؟ إن أبناء طبقتين متفاوتتين لا يقدرون على التحدث بلغة واحدة، بل إن الكلمة يختلف مفهومها لدى المحروم عما تعطيه لدى المتخوم، وحتى مقدار الجسم الهندسي الواحد، لا يمكن أن

يتساوى في عيون هذين. ولقد أثبتت ذلك التجربة النفسية[١].

وليس هنا موضع مقارنة الأديان الآرية والصينية، ومحاولة دراستها على أساس الاختلاف الطبقي النفسي لدى الطبقات المرفهة، وبذلك نثبت أن التشاؤم الفلسفي لدى (بوذا ـ لائوتزو) إنما هو نوع من الانطوائية واحتقار العالم وكل ما فيه. والآلام الروحية والذهنية، والحاجات الشديدة اللطيفة العاطفية، والآمال الناعمة، والمشاعر الوهمية أيضاً هي خاصة بالنفوس الحساسة والأفكار الكبيرة، التي تظهر في الطبقة المترفة وتنمو فيها. إذ حتى الإعراض عن الحياة، يمكن أن يفسر على أنه ردّ فعل نفسي طبيعي لدى الذي تنعم بكل نعم الحياة فأصيب بالتخمة والاشباع. ومن ثم الاعراض، فالرهبانية، والزهد المفرط، والغلو في العشق والمحبة، حاجات وآلام غير واقعية، بل هي نفسية وخيالية وهمية، تصيب أرواح الذين بلغوا نهاية المطاف في دروب الحياة، ولم يعد هناك ما تترقبه عينهم، على هذه الأرض.

---

(١) هيىء لوحة واجعل فيها عدداً من الفتحات بمساحات مختلفة بحجم نقود فلزية مختلفة القيم، وادع طفلين من طبقتين مختلفتين، ستجد الطفل الفقير يحاول وضع النقد ذا المبلغ الأكبر في الثقب المخصص لنقد بقيمة أقل، بخلاف ما يفعله الطفل الثري.

وواضح أن الذي عانى الجوع، والظمأ، والمرض، والتشرد، والخفاء، وانعدام الدواء، والكبت، والبطش، والبطالة، والاستغلال والأسر والرق والتخلف، والضعف، ومئات من الآلام والأوصاب المحسوسة والملموسة قد أوقدت النيران في عظامه، وهو يعلم أن آلاف النِعم في هذه الحياة الدنيا وعلى هذه الأرض وتحت هذه السماء، ولكنه محروم منها، فلن يستطيع أبداً أن يعتبر العالم وما فيه، فارغاً لا شيء. إن الذي يعيش لسعات البرد في عُريه، قابعاً في قعر دار فاقته، يرقب أطفاله المنحولين يرتجفون من قرصات البرد وقد تجمدت الدماء فاسودّت شفاههم، وأسبلت المحاجر دموع البؤس والشقاء على خدود حائلة، لا يطيق أبداً أن يترك داره، وأهله، وحليلته وأطفاله ـ مثل بوذا، أمير (بنارس) ـ، بحثاً عن «النار الخابية»[١].

إنه ـ أي ذلك الجائع المحروم ـ ليبحث عن نار متوهجة حامية، قد اندلعت ألسنتها، واشتدّت حرارتها وحرقتها.

---

(١) المترجم: وعن مثل هذا الشهور النفسي تصعدت لوعة الشاعر العربي قوله:

(لولا بُنيات كزغب القطا   يردون من بعض إلى بعض
لكان لي مضطرب واسع   في الأرض ذات الطول والعرض)

فعنده أن آلام الشفاء، وحاجات الغناء، والهموم الحلوة لدى الشعراء وهمٌ وخيالٌ، وهراء[١].

وليس اعتباطاً، أن يقصد هؤلاء الأنبياء، البلاطات الملكية بعد بعثتهم، ليبدأوا الدعوة إلى رسالتهم، تحت حماية هذا السلطان أو ذالك. ففي نظرهم، إن خير من يصلح للهداية هو الملك. إن (زرادشت)، «ظهر» في (أذربيجان)، ولكنه سرعان ما بلغ بنفسه إلى «بلخ» ونراه يلج بلاط «گشتاسب» ويدعوه إلى دينه، ويمضي بقية العمر في الجنان السلطانية.

إن (كونفشيوس) عاش يتغنى بآداب «الشانج» ملوك الصين القدماء، ويجول المدن والتخوم، حتى يحط الرحال لدى أحد الملوك، ويستحوذ على الحكم بمعونته، ثم ينفذ

---

(١) إن نظرة إلى الأدب الأوروبي الغربي وامريكا الشمالية، وتمرد الشباب في الدول الرأسمالية (البيتليسم، تين ايجريسم، الخنافس) اگزيستانسياليزم العوام، بلوزات الأشرطة، سراديب المراقص من سنجر من دوبره في باريس، المشاعر المتحرقة في الفتيات الأنيقات، تشاؤم «صادق هدايت» واقرانه من الفتيان وآلامه، وأسباب الانتحار المتلاحقة في أوروبا، وفلسفة فراغ الوجود والحياة لالبرت كامبو، جميع هذه الآلام الناشئة عن الإشباع في الشفاء، واووجاع الناشئة عن الرفاه والغناء. إن من يشعر بالفقر والجورو الكبت والحرمان القاسي لا معنى لفراغ الوجود، والحياة ليست نوم مضطرب وأحلام ثمل وسكران.

أحكام مدرسته على المجتمع. ومثل هذا البحث الدائب، يبلغ الهدف في النهاية ويصل إلى المقصود.

وفي الطرف الآخر، سلسلة من الرسل الأحناف، لهم قصة أُخرى، كلهم من أضعف طبقات مجتمعاتهم، وأكثرهم حرماناً، وهم ـ في الأعم الأغلب ـ رعاة ابل أو غنم، والبعض صَنَعَة، أهل فن وحرفة[١]. فهم في المجتمعات البدوية التاريخية[٢]، ثلة مجردة من الحيثيات الاجتماعية عارية عنها. فهم أبناء الفقر والمحنة والصحراء.

ليس من قبيل الصدفة، أنهم حينما يبعثون، يجتمع حولهم المحرومون والعبيد، ويواجهون مقاومة الأشراف، وتجار الرقيق، والكهنة، والتجار وأهل القوة والجبروت الذي يصفهم القرآن «ملأ مترفين».

إنهم حين يظهرون، لا يبدأون دعوتهم متوسلين بالسلطان

(١) كان نوع عليه السلام نجاراً، وداود عليه السلام حداداً وصانع دروع، وإبراهيم عليه السلام من أسرة مثال يقول (علي عليه السلام): كان داود يصنع شيئاً من الحصير ويبيعه قائلاً: من يشتري هذا؟ ويشتري بأثمانها خبز شعير ويأكله. ويقول رسول الله صلى الله عليه وآله: «لم يكن نبي إلاّ وكان راعياً. ولقد رعيت بأغنام قريش في القراريط».

(٢) Soc. Histopique مقابل المجتمعات البدوية والمجتمعات المتمدنة تقوم المجتمعات التاريخية، كمجتمع روما والمجتمع الإسلامي والهند ومجتمعنا الراهن.

القائم، والقوة الحاكمة، بل إنهم يبدأون معلنين حرباً لا هوادة فيها على هؤلاء.

لقد حمل (إبراهيم عليه السلام) فأساً، وتوجه إلى بيت الأصنام، وأعمل فأسه في رأس الصنم الأكبر، وهكذا تبدأ رسالته. ثم تبدأ قصته، قصة عذاب ونار واحتراق و....

ويبدأ فجأة (موسى عليه السلام)، فيسير بعباءة خشنة ممزقة، وعصا راع طويلة ذات عقَد غير مهذبة، فيأتي مع أخيه، من الصحراء ـ والصحراء مهد جميع الأنبياء الساميين ـ يدخل العاصمة، ويتوجه مستقيماً إلى قصر (فرعون)، ويعلن عليه الحرب، ثم تبدأ قصته، قصة كفاحه ضد فرعون.

و(قارون وبلعم بن باكور)، وانقاذ اليهود من الرق والعبودية، ثم حربه مع جيش فرعون، وهجرته الجماعية، ومن ثم إنشاء مجتمع حر في أرض مستقلة.

و(عيسى عليه السلام)، شاب وحيد يعيل نفسه، صياد سمك مجهول على شاطىء البحر الأحمر، ها هوذا يقف ـ ومن غير مقدمة ـ أمام القيصر، ويوجه ضرباته القاصمة إلى الأمبراطورية المتوحشة المتعطشة للدماء، آكلة لحوم البشر، ثم تأتي قصته، قصة ألم، وصلب، ومجازر.

و(محمد ﷺ)، شاب يتيم، يرعى في القراريط أغنام أهل مكة، يهبط من اعتكافه في غار (حراء)، ويعلن الحرب على تجار (قريش)، وتجار الرقيق في مكة، وجبابرة الطائف، وكسرى الفرس وقيصر الروم. وعلى الفور، يلتف حوله مستضعفو مجتمعه، والغرباء، والعبيد، والمحرومون، ثم تبدأ قصته قصة العذاب، والنفي، والتشرد، والجهاد الدائم.

وليس أمام عالم الاجتماع أي غموض لمعرفة دين الأنبياء الذين ظهروا في المدن الكبرى، والذين يهبطون من أبراجهم العاجية في قصور الاقطاع، ويصعدون سلالم بلاط السلطان، ليدعوا إلى دينهم. ولا حاجة لإعجاز علم الكلام، وفن التأويل لتوجيه هذه النبوات فجهتهم وعالمهم وإدراكهم للكون والحياة واضحة كلها[1].

ومثل هذا دين المجهولين الفقراء، الذين يتركون الأغنام ويرمون بعصا رعيهم، وعلى حين غرة، يخرجون من قلب الصحارىٰ الخالية، المحرقة، في (بلاد ما بين النهرين، وشبه

---

(١) إنني لا أقول ذلك عن تعصب أو جهل، فأنا قد أمضيت اعواماً طويلة في دراسة الأديان وتخصصي العلمي هو «علم الاجتماع الديني» وإلى هذا فإن روحي (لا عقيدتي) قد عانت من الأديان الهندية، وإنني لأتحرق أمام الأفكار الجميلة العجيبة، البوذية والصينية، وخاصة ازاء نصوص هذه الأديان التي اتمنى من صميم قلبي لو أن الحقيقة وافقتها، ولكن اسفاً.

جزيرة العرب، وفلسطين، والشام، ومصر)، ويسيرون ليلاً بأقوامهم المشرّدين، قدماً إلى الإمام، ويبدأون حرباً لا هوادة فيها مع ذئاب أممهم[١].

لقد آن الأوان أن ننظر مثل هذه النظرة، إلى سيماء (محمد ﷺ)، آخر رسل سلسلة الرعاة. يجب أن نراه نبياً، وبنظرة جديدة، وعليه يمكن أن يقال بحق، يجب أن ننظر إلى محمد ﷺ من جديد، وأن نعرفه من جديد. يجب أن لا ننظر إليه كما ننظر إلى الأشياء والأشخاص، يجب أن ننظر إليه من زاوية علم النفس، والاجتماع والتاريخ، وأن نلقي على سيماء محمد ﷺ نظرة جديدة. لا بد أن ننظر إليه نظرتنا إلى عظماء التاريخ، القياصرة، الحكماء، والأنبياء، ولا بد أن نحيطه بمجموعة أنبياء الشرق، وننظر إليه، وهو بينهم، وفي مثل هذه الحالة، تتجلى صورته في أعيننا، عجيبة يعجز عنها الوصف، كأننا لم نره أبداً، وكأننا لم نعرف صورة لأي رجل في العالم من قبل.

---

(١) قصة قارون وموسىٰ وخاصة قول القرآن «حتى يلج الجمل في سم الخياط!» أي حتى يدخل حبل السفينة الضخم في الابرة، ويعلق دخول الثريّ الجنة على ذلك. ويخاطب القرآن ـ على لسان (شعيب) ـ سكان القصور فيقول: «أتتركون فيها ههنا آمنين؟! ويمثل ذلك الصراع الطبقي في الأديان هذه بوضوح.

إننا نعرفه الآن، وهو حيال أسلافه، رعاة مجهولون، لقد قادوا منذ بداية تاريخ الرعي، أجيالاً لا تحصىٰ، فشيدوا الحضارات الكبرى في العالم، إننا لننظر إليه ونتطلع إليه، وهو في هذا الجمع.

* * *

لأجل أن نصل إلى معرفة دقيقة لصورة عامة تامة لأي دين، لا بد من معرفة «الإِله» الذي يدعو إليه، والكتاب الذي جاء به، والرسول الذي حمل تلك الرسالة الدينية، ومن عكف على تربيته. كل هذا ضروري لهذه المعرفة، وهو أبسط الأساليب، وأكثرها إمكاناً وأيسرها، وأقربها إلى الاطمئنان، من بين جميع أساليب المعرفة.

إن «يهوه» إله شعب اليهود، وجه خشن متجبر، خارق للعادة. إنه لأكثر جدية وأعلى عظمة من أن يبثه الإنسان نجوى الحب ويعشقه. إنه ليبث في قلب الذين يتعبدونه الجفاء، والقسوة والوحشة أكثر من اللطف والرحمة. إنه جبار متكبر لا يعمل إلاّ بعدله، ولا يعفو عن أقل تجاوز، ولا يتساهل حتى في أقل الحدود الرسمية التي أقرّها. إن إلٰهاً يصوّره دين جاء لإنقاذ قوم أرّقاء، اعتادوا المذلة والهوان، وأحنوا رقابهم تحت أغلال العبودية الفرعونية، وعليهم الآن،

وعلى الفور، أن يثوروا ويحققوا نهضة كبيرة أمام نظام الفرعون، وأن ينزعوا مجتمعين قلوبهم من أوطانهم، وهناك بعيداً، يقيمون مجتمعاً حراً مستقلاً، يقفون على أقدامهم ويقطعون الطريق الوعرة الطويلة بين العبودية والحرية، ان «إلٰهاً» يصوره مثل هذا الدين لا يمكن إلاّ أن يكون كذلك!

والتوراة أيضاً كذلك، قاعدة فلسفية واعتقادية منطقية ومنظمة. توجيه مناسب للوجود، والحق. خلق الإنسان، والحياة، وخاصة فلسفة الرسالة الإلهية، وصلة ذلك بتاريخ شعب اليهود، ومسؤولية حماية التوحيد في العالم، والأحكام والحدود والآداب الحقوقية والاجتماعية الصارمة والدقيقة.

و(موسى عليه السلام)، مظهر الغضب الإِلهي، هو صورة إنسانية لـ(يهوه) على الأرض، هو ذلك الذي حينما رأى مشاجرة شخصية بين قبطي وسبطي، يغضب ويثور، ويقتل القبطي بضربة واحدة، ويهرب ويفرّ من المدينة. هو ذلك الذي، حينما يعود من سفره إلى طور، وفور ما يرىٰ أن السامري قد أعلن مخالفته، يصدر أمر قتله من غير انتظار.

وفي قصته مع الخضر عليه السلام ـ فمع أن موسى عليه السلام قد تعهد بأتباعه ـ فأنه يلقيه على الأرض ليقطع رأسه! إن نبي هذا

الدين، هو موسى عليه السلام، دين بناء، سياسي، اجتماعي، ذو نظرة حقوقية مدنية وعالمية.

و(ننوس) إله (عيسى عليه السلام)، له سحنة تدل على خلوص الصديق، ولطافة المعشوق، قريب، غير متكلف، صديق للإنسان. إنه قريب من الإنسان قرابة ودية لاصقة، لدرجة أنه قد هبط إليه من السماء. إنه ليترك عرش كبريائه، وجبروته، ويهبط إلى الأرض، إلى جانب الإنسان، ووسط الناس، يختلط بهم، ولا يقنع بذلك، بل يصبح أباً للإنسان، ويظهر بصورة إنسان.

و(عيسى عليه السلام) أيضاً، مظهر إنساني لـ(تئوس). وجه يمثل العصمة الملائكية، ابتسامة كسحر الفجر، حديث هادىء يناغم النفس ويناغيها، إنه نبي الهدوء والمحبة والعفو. رسالته السلوى والعزاء للقلوب المكدودة المتعبة، ودعوته إلى الجلادين الرومان، والجنود المتوحشين القياصرة، أن اغسلوا سيوفكم من الدماء على شفاء شواطىء بحر المحبة، لا تقتلوا، بل أحبوا.

وفيما كان التوحش قد جرَّ الجميع إلى الجنون، وأصبح كل سيف يتحمل أعباء انتقام دم آخر أريق، وديّة كل دم، دم

آخر، والانتقام يدور في «دور باطل»[(١)] مجنون، يدور هكذا إلى الأبد، وبلا نهاية. من الذي يكون للسيوف شراباً سائغاً، وريّاً رائقاً لعطشها؟ وأي عامل يستطيع أن يوقف هذا الدوران المجنون للانتقام بالانتقام؟ سوى المحبة.

والانجيل كذلك: «إذا صفعت على خدك الأيسر، فأدر خدك الأيمن ولا تصفع حتى لا تصفع».

وبذلك ينتهي هذا النزاع وتتحول العداوة صداقة، ووداً.

* * *

لقد وقفت هنا على قاعدة هامة في دراسة علم الاجتماع التاريخي، بعد دراستي للأديان الكبرى.

ليس البحث هنا عن اعوجاج الدين نفسه، فذلك بحث خاص، وإنما الحديث عن الدين نفسه، عن دين حق، دون أن ينحرف ويخرج على جادة الصواب، ويؤدي إلى ضلال المجتمع.

مجتمع ما، يشبه شيئاً ما يمكن أن يخضع لعوامل

---

(١) لا شك أن القصاص كما يعبر عنه القرآن، أمر حياتي إذ كيف يمكن ضمان حياة المجتمع دون القصاص.
أما العفو، والذي يراه القرآن «أولى» من القصاص، فهو موجب لحقن الدماء.

وظروف مختلفة تعدل به من حالة متعادلة هي حالة (ألف) إلى حالة (ب). (مثلاً أن يتجه نحو المثاليات والزهد المفرط، والتوجه إلى الآخرة وحدها).

أو أن يتجه إلى جانب (ج). كأن ينحرف نحو (المادية والفساد المفرط، والتوجه إلى الدنيا وحدها) مثلاً. وفي مثل هذه الحالة فقط، تظهر الأديان الكبرى. ولذلك فإنه يتضح تماماً المنحىٰ الذي يتجه إليه هذا الدين اتجاهاً عاماً. وجهته في مثل هذه الحالة طبيعية، وهي بصورة مخالفة للجهة التي اتجه إليها المجتمع. ففي حالة المثال الأول تكون وجهة الدعوة الدينية، أي الطاقة التي تبذل للرجوع بالمجتمع عن شططه، هي من (ب) إلى (ج)، وهذا ما يتضح في دعوة كل من (موسى عليه السلام، وكونفشيوس، وزرادشت)، وفي حالة المثال الثاني، تتجه هذه الطاقة من (ج) إلى (ب)، وهذا ما يتجلى في دعوات (لاؤتزو والطوطمية، والأديان الفيدائية، والمسيحية).

وفي ذلك الحين، حيث اتجّه المجتمع إلى وجهة خاصة معينة، يخرج نبي ليقيم الاعتدال بقوة دينية، فيوجّه المجتمع إلى وجهة خاصة معينة، يخرج نبي ليقيم الاعتدال بقوة دينية،

فيوجّه طاقة مخالفة لِإتجاه الإنحراف، ولذلك، فإن نشر هذا الدين، واشاعته، تؤدي إلى أن تتفاقم هذه القوة وتزداد. وبالنتيجة ـ وبعد وقت من الزمن ـ يستعيد المجتمع تعادله، ويعود إلى حالة (ألف)، وهنا تنتهي الرسالة منطقياً، ولكننا لا نعلم أن اتباع أي دين قد أعلنوا انتهاء رسالة دينهم.

ولذلك فإن الدين يتجه إلى ذلك الاتجاه، ويوجّه قدراته وطاقاته نحو المجتمع، ومن هنا تظهر الأديان ـ وبصورة قهرية ـ طاقة سلبية، مخلّة، تؤدي إلى انحراف المجتمع إلى جهة أخرى، ويفقد التعادل ويميل المجتمع إلى السقوط. وهنا تظهر بعثة أخرىٰ، ويظهر دين جديد، ويتّجه إلى جهة مخالفة لمنحى الإنحراف، معارضة لاتجاه الدين السابق، ثم يعود هذا الدين، وهو الآخر، قوة سلبية، تجر المجتمع إلى الإنحراف. وهذه اللعبة تتكرر، ويتكرر أثرها في مصائر المجتمعات، ونراها في تاريخ المجتمعات والأديان الكبيرة على الدوام.

يظهر دين التائوثيزم في المجتمع الصيني الفاسد، الذي غرق في اللهو والعبث واللذة والظلم، والحسد والجشع وحب المال والأطماع، ويدعو الناس إلى الإعراض عن الدنيا

واحتقار الحياة، حتى الحياة المدنية، والتخلي عن النظم الاجتماعية، معتبراً كل جهد من أجل صالح الحياة، والتنعم باللذات الدنيوية أمراً منكراً. ويحث النفوس على الخضوع للطبيعة، والتسليم إلى طبع الحياة الغريزة والطبيعة (تائو Tao).

وينساق المجتمع الصيني إلى الرهبانية وتزكية النفوس والزهد والأنطواء، والإعراض عن المدنية والحياة، والاتّجاه نحو (التائو).

ويعبن (كونفشيوس) هدف دينه خلافاً لاتجاه (لائوتزو)، ويسوق النفوس إلى المجتمع وما تقتضيه العادات والتقاليد في الحياة المدنية، وما تقتضيه طبيعة المجتمع (لى Li).

إن الذوق الهندي اللطيف، والأرض الهندية الغنية بالخيرات، والنظام الاجتماعي في الحياة التي يحياها الراجات، والكسل والاهمال المستحوذ على نفوس أبناء الهند، قد ساقت كل هذه الأمور المجتمع الهندي المترف والغارق في هذه التخوم، إلى الترف وعبادة اللذة، والركون إلى الكماليات في الحياة المادية، واللهو والفساد.

والأديان (الفيدائية) قد عرضت على الناس مبادىء

الإعراض عن الحياة، والتصوف، والرياضات الشاقة، والتعذيب البدني والروحي. وكان ذلك بنحو أصبحت معه أرض الراجات الاسطورية الغارقة في الملذات والفساد واللهو، أرض العرفان والرهبانية والرياضة.

كما حاول (بوذا) أن يعدل ذلك، وجعل يقاوم ذلك بالرياضة الجسمية، ولكنه أيضاً لم يوفق التوفيق الكبير، وأصبح الشعب الذكي ذو الكفاءات والاستعداد ـ والذي كان منذ آلاف السنين يحمل أعباء حضارة غنية، وقد خلق نبوغه الفائق أسمىٰ الأفكار وأروعها، ولم يقتصر ذلك على العرفان والمعاني الروحية فحسب، بل كانت لهم يد بيضاء في الرياضيات، حيث يعتبر هذا الشعب الشعب الذي وضع العدد للعالم ـ أصبح هذا الشعب غارقاً في أفكاره المحلّقة، غارقاً في ألطف الحالات الصوفية، والعروج الروحي. وبقي غافلاً عن الحياة، حتى أصبح لقرون متمادية، ألعوبة بيد الترك الغزنويين، والأتراك المغول، والأفغان، والإيرانيين، والمستعمرين الانجليز، ولم يشعر بكل ذلك.

كانت الأمبراطورية الرومانية ـ لمدة ألف عام ـ مظهراً للقدرة العسكرية والسياسية في الغرب، داعية التسلط الدائم

على الشرق. لقد حكمت قروناً متوالية، بلاد حوض الأبيض المتوسط، وآسيا الصغرى، وبلاد ما بين النهرين، وأرمينيا، وشمال أفريقيا.

و(روما) كانت مركزاً للقدرة والسلطان والكفاح، والحضارة المادية، وعين دفاقة من عيون الحياة، تفيض تَنعّماً واقتداراً. كان مجتمعها قوياً وثرياً على الدوام، وغارقاً في الدماء، واللهو والعبث، وقتل الضعفاء.

وقد حشد المسيح طاقاته إلى الجهة المخالفة لهذا الانحراف السائد في حياة روما، ودعاها إلى التقوى والسلام، ونبذ الحرص والطمع واكتساب القدرة والسلطان السياسي والعسكري على الآخرين، وحببَ إليها الاتجاه نحو المعنويات، والعواطف الأخلاقية والمشاعر الروحية.

لقد أراد أن يقوم المجتمع، الذي اتجه نحو الماديات والطبع الحربي، بكبح جماحه عن الطموح نحو التسلط والسيادة السياسية واللهو والعبث، وأن يقترب من الحياة المعنوية والتقوى الروحية. ولقد رأينا مقدار النجاح الكبير الذي أحرزه. لقد أصبحت أرض (كلادياتور ونيرون) التي لا يسمع تحت سمائها إلاّ أنين الأسرى الذين يطلقون عليهم

السباع الوحشية، ولا يصك الأسماع فيها إلاّ زئير القادة الرهيب، وهدير الأباطرة، مصاصي الدماء، عادت هذه الأرض مهداً لتربية الروح وتطهيرها، وأصبحت أرض (القديس بول، والقديس جنيوا والقديس آرس والقديس اغسطين) وارتفعت بدلاً من مجلس شيوخ (روما) وقصور القياصرة الرهيبة، والسجون الكبيرة المظلمة، ارتفعت الكنائس المقدسة ترن في أروقتها الروحانية أكثر الأنات خلوصاً وأجمل تمتمات العبادة، وأقرب الالحان إلى السماء. ألحان قدسية تخاطب معبود العالم الكبير.

ولكن المسيحية، التي دعت النفوس في المجتمع العسكري الرومي الآثم، في القرون الأولى، إلى تحقير التنعم بالملذات، واستمرت في دعوتها، وجرّت المجتمع الغربي إلى الآخرة، إلى زوايا العزلة، وخبايا الرهبانية، حتى استطاع (علاء الدين كيقباد) التركي السلجوقي، و(صلاح الدين الأيوبي) الكردي الشامي، أن يقهرها، وأن تنسحب جحافل جيوشها المقهورة إلى قلب أوروبا على رغم إنهيار مركزية الإسلام وتجزئة دولته حيث كانت كل بقعة من ممتلكاتها قد وقعت بيد حاكم أو أمير، وبذلك تم القضاء على المسيحية الشرقية، وجعلوا من (القسطنطينية)، المركز العالمي

للإمبراطورية المسيحية، مدينة (الآستانة) بعد أن قذفوا بأشلاء المسيحية من شاطىء الأبيض المتوسط هذا إلى الشاطىء الآخر، وأخيراً فقد رقدت المجتمعات الغربية المادية القوية، في انزواء معنوي منحرف. ثم اجتاحتها قوة معارضة لإتجاه المسيح ساقتها نحو الحياة الدنيا، نحو الكفاح والتنعم. وإننا لنرى اليوم اوريا وقد ارتدت عن ذلك الاتجاه، وأصبحت أوروبا، أوروبا (نيرون، وجول سازار، وجلادياتور). عادت أوروبا هذه متعطشة إلى مسيحية جديدة.

أما الإسلام؟ ومحمدﷺ؟ والقرآن؟

هنا، ودون أن يفض التعصب الديني، أو اللا ديني، الطرف عن إدراك الحقيقة بدقة ووضوح، إذا أردنا أن نجيل الطرف كما يقول (بيكن)، «بنظرة العلم الجافة» نرى وجهاً رائعاً، لم يقع عليه الطرف إلى الآن، إلاّ في الأساطير والخرافات، ولم يرَ أحد ما مثل هذا الوجه في عالم الواقع.

الإسلام، وبكلمة واحدة، هو الدين الوحيد بأبعاد عالمية مختلفة. هو دين يحشد طاقاته لا لتوجيه المجتمع إلى وجهة واحدة، وليس إلى جهات متعددة، تتعارض فيها هذه الاتجاهات فحسب، بل إنه ليوجه طاقاته إلى جهات مختلفة،

وحتى متناقضة، نحو المشاعر والأفكار، للفرد والمجتمع. ونتيجة لذلك، فإن المجتمع يأخذ طريقه إلى جهة الاعتدال، يمنح المجتمع معنى التعادل. ولذلك فإنه بعد أن يوجد التعديل، لا يتحول إلى طاقة انحرافية، ولن يشط المجتمع إلى جانب دون آخر، [إنه لا يوجد الشذوذ ولا الجموح ولا الإنحراف].(١)

ومن أين لنا أن نجد مثل هذا الأساس في الإسلام؟

إننا ـ كما ذكرنا آنفاً ـ نستطيع أن نوضح هذه الحقيقة، ونجد هذا الأساس، من معرفة الله، والقرآن، ومحمد ﷺ، وصحابته (الذين ربّاهم). وكذلك من مجتمعه، ذلك أن محمداً ﷺ هو الرسول العالمي الوحيد الذي بنى أركان مجتمعه. ومن دراسة هذه الوجوه الخمسة، دراسة علمية منطقية، ومقارنتها، تتضح هذه الحقيقة.

الله (جانوس) حقيقي(٢). إله بوجهين، وجه (يهوه) ووجه (تئوس)، بضفتين فائقتين متعارضتين. قهّار ورحمان. فهو مثل (يهوه) «منتقم»، «جبار»، «متكبر»، «شديد العقاب».

---

(١) المترجم.

(٢) Janus الإله الميثولوجي الأسطوري اليوناني ذو الوجهين (المستقبل والماضي).

وقد تربع على «عرش الكبرياء»، واستتر بسرداق الملكوت. هو فوق الوجود و«ماسواه» تحت عرشه المطلق.

وهو يشبه تئوس، «رحمان»، «رحيم»، «رؤوف»، «غفور» يهبط إلى الأرض، ويألف الإنسان، قريبه وخليفته في الأرض. ويخلقه على هيئته، ويبشره بأنه سيجعله «مثله». وهو قريب إلى الإنسان، يعرفه، ويحبه، و«اقرب إليه من حبل الوريد»[(١)].

والقرآن مجموعة من الإِنجيل والتوراة. فلسفة وحكمة وقصص وعقائد، أخلاق فردية ومُثُل ومعنويات روحيه، وأحكام اجتماعية واقتصادية وسياسية وعسكرية، وروابط فردية واجتماعية. حقوق وحدود، وتقاليد للحياة الاجتماعية والمادية والمعنوية في الدنياة والآخرة. فمن فلسفة الخلقة والتكوين والحكمة الإلهية، إلى القواعد الصحية وآداب المعاشرة. ومن تزكية النفس، والتربية الفردية، إلى أحكام القتال والجهاد من أجل تحسين الحياة المادية والتمتع

(١) في الآيتين الكريمتين ٢٢ إلى ٢٤ من سورة الحشر باسلوب «تنسيق الصفات» لله: هو الله الذي لا إله إلاّ هو عالم الغيب والشهادة، هو الرحمن الرحيم... الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر... هو الله الخالق البارى المصور له الأسماء الحسنى... وهو العزيز الحكيم.

بالاجتماع والحضارة والعلم والحرية، وتركيز القدرة الاجتماعية والسياسية. ومن الدعوة إلى عبادة الله والتضرع والخشوع والتقوى، إلى إعلان الإعداد الدائم والنفير العام وكسب القوة من خيول مسومة. كل ذلك بأسلوب رائع خاص به، قد انصهر في بوتقة واحدة، في تركيب من الأصوات والألوان المختلفة، الفكرية والحسية، المادية والمعنوية، الفردية والاجتماعية.

ومحمد ﷺ، أيضاً تركيب ومزيج من عيسى عليه السلام وموسى عليه السلام، نراه آناً في حومة الوغى، في طليعة اصحابه، الذين يتشوقون للقتل أو الإِستشهاد، يحمل أمامهم، وهم على صهوات جيادهم المتقحمة، لا يمكن أن يفروا من أمام العدو إلاّ بجهد جهيد. يحمل ويغزو ويهاجم. يأخذ في كفّه، حفنة من تراب، وبغضب يرميها في وجوه العدو، ويصرخ: (شُدّوا)!، وترقص السيوف، وهو، وقد حمى من رؤية واقدي نيران الحرب، وتحمرت وجنتاه من السرور، يقول بصوت خافت مأخوذ بنشوة النصر، وعلى شفتيه ابتسامة يفيض منها الرضى: «ايه. . . الآن قد حمي الوطيس!».

وآناً آخر، نراه، في كل يوم وهو في طريقه، يلقى يهودي

عليه الرماد، وفي حالة، هي أكثر ليناً من المسيح، مثل (بايزيد) لا يقطب حاجبيه. ويمرّ يوماً، أمام دار ذلك اليهودي فلا يرى الرماد ولا صاحبه، ويسأل بلهجة العارف، أين صاحبنا؟ وحينما يسمع بمرضه، يذهب لعيادته!.

وفي أوج قدرته وقمة سيطرته، في تلك اللحظات التي دخلت فيها جيوشه مدينة مكة، تلك المدينة التي عذّبته وأصحابه عشرين عاماً وشردته، يقف إلى جوار الكعبة، كقدرة قيصر ولكن سيماءه كسيماء المسيح، رؤوف ودود! وفيما تلمع حوله عشرة آلاف سيف، تريد أن تثأر من قريش، وقد كشرت قوات الفتح عن أنيابها لتنتقم من (أبي سفيان وهند) آكلة كبد (الحمزة)، ومكرمة بن أبي جهل، وصفوان وغيرهم. . . آنذاك يسأل من قريش: ماذا تروني فاعل بكم اليوم؟ وهؤلاء الذين يرون سيماء المسيح في هذا الموسىٰ، مظهر الغضب الإلٰهي، ويعرفونه جيداً، ويرونه بعيونهم، يجيبون بقولهم: «أخ كريم وابن أخ كريم!».

فيقول بصوت ملؤه العفو والرحمة: «اذهبوا. . . فأنتم الطلقاء!».

مَنْ الذي يستطيع أن يصدق بسهولة، أن الرجل الذي ترك

المدينة والدار، في ليلة ظلماء، وقد غاص في لجّة من أفكاره العرفانية اللطيفة هائماً في مقبرة البقيع، وبلهجة كأنها تصدر من أعماق راهب كبير، ـ الرجل الذي أمضى عمره في خلوات الانزواء وفي التأملات العميقة، وأوقد الشوق نيران الوصال والاقتراب من حبيبه الكبير ـ ينهض ليتحدث إلى القبور الصامتة، على ضياء هالة قمر الصحراء الآسرة التي تحدثه عن مصير الحياة الغامض.

وهو نفسه الذي نراه في سوق المدينة إلى جانب الحفر العميقة الموحشة، التي أمر بحفرها، وقد جلس لينظر إلى جماعات من يهود بني قريظة، وقد شدوا بالسلاسل والأغلال، مجموعات مجموعات، فيذبحون أمامه الواحد بعد الآخر، ويرمون في تلك الحفر، وينظر إليهم بعينين باردتين هادئتين كأنهما قد استحالتا إلى فصين من الخرز الشبق، و«يتفرج» عليهم، ولا ينبس ببنت شفة، ولا يطر له جفن، كأنه ينظر إلى عرض بارد لا معنى له ولا طعم، وحينما يقتل آخر شخص من هذا الصف الذي يتشكل من سبعمائة شخص، ويرمي في تلك الحفرة، ينهض وينصرف إلى أعماله الأخرىٰ. لقد خان هؤلاء المجتمع بكل وضاعة وخسة، ثم يتصدى محمد عليه السلام للخيانة، فهناك تتجلى فيه

سيماء «موسى عليه السلام» ويتجلى «الله» في مظاهر «يهوه» ولا شيء.

يا محمد، لي نساء من أجمل النساء، اختر منهن من تشاء واعطني زوجك «عائشة».

فيجيب، بطلعة بهية، رحيمة وهادئة، تثير إعجاب المسيح وتعجبه ويقول: «يا أخي، إن الله لا يقبل ذلك».

ما أعجب هذا الأمر! هل يمكن أن يصدق أن الرجل الذي قاد الجيوش ٦٥ مرة في عشر سنوات، وأن الرجل الذي كان يعد رهبانية دينه الحرب، كانت في قلبه روح بعمق روح بوذا، وفي عقله أخيلة في لطف (أوبانيشاد)؟ وفي منطقة حكمة في قوة سقراط، وفي عينه نظرات فيها لطف، وجمال، وجاذبية تشبه ما للصيني «لو Lou»(١).

«لو لم أكن أمرت أن أخالط الناس وأعيش بينهم، لرفعت

---

(١) من الوجوه العسكرية الشهيرة في التاريخ، (نابليون) الذي نعلم أنه رغم ما عليه من الظرف ولطف الذوق كان عسكرياً جباراً، وأن التاريخ ليذكر له هذه الصفة بإعجاب. وإن من أجمل آثاره رسالة بعث بها من ميدان القتال إلى خليلته «جوزفين» «يقول فيها»... اكتبي لي أنك لم تعودي تحبينني كما كنت من قبل، لأقوم الآن، وأمامي المعركة الحامية التي شغلتني تماماً، فاتركها من غير مقدمة ليتفرق الجيش الفرنسي ويندحر... !!»،

عيوني إلى السماء وأدمت النظر إليها إلى أن يقبض الله روحي»[١].

ولنأخذ من الذين ربّاهم، (علياً عليه السلام وأباذر)، فإن كل ما عند هذين هو منه. إن (جُنْدب بن جنادة) هذا، هو من أبناء الصحراء نصف متوحش، جعل منه الإسلام (أبا ذر). وذلك الطفل الذي دخل دار محمد ﷺ في الثامنة من عمره أصبح (علياً عليه السلام).

و(أبو ذر) هذا أيضاً رجل ذو وجهين، وروح له بعدان: رجل سيف، ورجل صلاة، رجل الوحدة ورجل المجتمع، رجل العبادة ورجل السياسة، رجل الجهاد والكفاح من أجل الحرية والعدالة والجياع، ورجل التأمل والدراسة من أجل فهم القرآن فهماً صحيحاً، ومعرفة الحقيقة وتعلّم العلوم واختزانها.

وعلي! مَنْ يستطيع أن يصور سيماءه؟ روح عجيبة بأبعاد مختلفة. رجل في كل وجوهه، يبدو عظيماً كعظمة آلهة الميثولوجيين اليونان والروم، أجمل منها وأروع جلالاً وسطوعاً. رجل بطل في ميادين مختلفة ومتناقضة من الحياة

---

(١) من أقوال محمد ﷺ.

البشرية. بطل في السيف، واللسان، والحكمة، والوفاء، والفداء، والإيمان، وحب الحقيقة والإيثار، والقدرة، والتقوى، والبساطة، العدالة.

إنه ذلك الذي بقي أياماً في ميادين القتال الدامية، يلعب سيفه الذي طبقت شهرته الآفاق، في صفوف الأعداء فتتساقط رؤوسهم كسنابل مزرعة قد أينعت وحان قطافها.

وفي دياجي المدينة، ومثل روح متألمة وحيدة، يترك فراش الهدوء والاستقرار، لييمم نخيل (بني النجار) في ضواحي (المدينة)، فيلوذ ببئر يبثها الهم والغم والأسى، وينوح كالغرباء، سجين التراب العظيم.

إن سيماء محمد ﷺ، السيماء التي تطالع أعيننا الكلية بعد أربعة عشر قرناً، لا يجب أن ينبحث عنها في سيمائه وحده فقط، بل في سيماء «الله» وسيماء القرآن، وسيماء علي وأبي ذر ووجوه اخرى صنعها بيده. وحتى في وجوه ذلك البيت العجيب في تاريخ الإنسان، البيت الذي كان عليّ أبوه، وأمه الزهراء، والابن الحسين والبنت زينب.

ومجتمع محمد، مجتمع ذو أبعاد متعددة. لنقارن (المدينة) يمدن العالم المعروفة كي تتضح أبعادها، (أثينا،

اسبارطا، الاسكندرية، روما، هليوبوليس، بنارس).

كل هذه مدن بباب واحد، فمن أبواب روما، واسبارطا يخرج رجل بأسجاسم ممشوقة، ووجوه خشنة، يكلّلها السلاح من الرأس إلى القدم. مدن لا يزال صهيل خيولها الحربية، وهدير أبطالها ومقاتليها يصك أسماع التاريخ.

ولكن من (أثينا، وهليوبوليس، وبنارس، والاسكندرية)، يخرج رجال نحو التاريخ قد أثقلتهم الأفكار العميقة، غارقين في أمواج الروح اللامرئية، رأسماليون، كبار في الحكمة والثقافة والمعرفة، هم: (سقراط، أفلاطون، أرسطو، أفلوطين، وبوذا).

أما (يثرب)، مدينة الرسول، المدينة ذات البابين المفتوحين على العالم يخرج من أحدهما (الفوج الأزرق)، رجال كأنهم لا يفكرون في غير «القتال»، ولا ينامون إلاّ على فراش الدم. بوابة، تخرج منها، ليل نهار، وفي كل وقت سيوف عطشى، متجهة إلى القبيلة، وتنسل كلها، من خقبأ الدجى أو هدأة السحر، على قوم، تقتل، وتسلب، وتأسر، وتعود ريانة من الدماء، فكأنها باب روما.

ومن الباب الآخر، وجوه هادئة مطمئنة، رؤوفة مشفقة،

يشع منها نور الإيمان بالله، والحب للناس. وجنات تبرق بالإيمان واليقين، أذيال طاهرة، موقرة مزدانة بالايمان. عيون التصقت بـ«الأرض» وقلوب طمحت إلى «السماء». كأنهم حواريو المسيح، مشاة، أو على ظهور الجمال، متجهة إلى الصحارى الرهيبة، إلى النَفُود، والربع الخالي، ونجد، تسير زرافات زرافات، وتحمل رسالة الإسلام والصداقة والمحبة في الله، إلى قبائل الصحراء غير المتحضرة، فتكسح، من كل مكان، عتمة ليالي الجاهلية الموحشة بمشاغل الإيمان، بالنور، والبصيرة، والأخوة.

انظروا إلى مسجد الرسول، وقارنوه بمجلس الشيوخ الرومي، وأكاديمية أثينا، ومعبد زرادشت.

إن أهل «الصفة»، الذين خلقوا أعظم أحداث التاريخ البشري، والذين حطموا وقوّضوا أعظم امبراطورية عسكرية في التاريخ، هم أولئك الذين لا يمكن أن تعرفهم في حومة الوغى، من بين جنود الروم والفرس. وهم على «الصفة» لا تفرقهم عن رهبان الهند وأصحاب المسيح. هم النفر الذين اختاروا من كل ما في الدنية (صفة مسجد). غارقون ليل نهار في جذبات العشق في أرواحهم المحترقة، كأنهم حرقى خلوة

العرفان وانزوائه. مأخوذين بحب الله، منهمكين في البحث والتفكير، والتحقيق كأنهم تلامذة «حديقة أفلاطون»، وطلاب «حكمة مشاء أثينا». أكفم على مقابض سيوف هي كأصحابها لم تعد إلى الدُور منذ عشر سنوات، ولم ترقد في فراش. متشوقة إلى الدم. عيونها تحملق في الجهاد، وآذانها مصيخة لأمر محمد، كأنهم أجناد القياصرة.

هذه السيماء، سيماء دين حمل رسالة قيادة الإنسان إلى الأبد. ولهذا لاقت له بزة الخاتمية، [وكان آخر الأديان وإختتم الرسالات][١].

والإِله الذي دعى إليه، عليه سيماء «يهوه» وعليه سيماء «تئوس». في كتابه حكمة التوراة مواعظ الانجيل. ورسوله، له عقل موسى، وقلب عيسى. واتباعه، وتلامذة مدرسته، لهم سيماء المغوير المغامرين، الذين لا يرون الحياة إلاّ صراعاً من أجل التحرر، ولا يرون الحياة إلا «عقيدة وجهاد». ولهم سيماء (سقراط) وسيماء (بوذا). ولقد صوّرهم نفس محمد بكلمة جملة صريحة (رهبان في الليل، فرسان في النهار[٢]. جنود لا تعرف الخوف، تتعشق الميدان، وتتعشق الخلوة في المحراب.

---

(١) المترجم.
(٢) زهاد الليل وأسد النهار.

وهكذا، فإن محمد وحده ورسالته، ذات الأبعاد المتعددة، و«الاتجاهين»، جديدة بأن تحقق الأمل الكبير، للإنسان في هذا العصر.

لقد حصلنا على تجربة مرة من مصائر مدنيات التاريخ. التأرجح الدائم للمجتمعات بين الدنيا والآخرة، المعنويات والماديات، الفردية والجماعية، بين الجسم والروح. عظمة الأخلاق وقدرة الحياة، غناء الثقافة، وكمال الحضارة، وإحساس العقل، بين العلم والدين، الهوىٰ والقوى، الجمال والخير، وأخيراً بين الواقعية، والحقيقة، المثالية والواقعية، والتي جعلت البشرية تعاني المرض والعيوب، وجعلتها تتعذب من الحرمان والانحراف، ولازالت، أكثر من أي وقت. وطوال حياتها المديدة تتعذب على الأرض من مثل هذا المرض العذاب الذي جعل الكون يضيق بعينيها، مع كل ما هو عليه من سعة، وآفاق الحياة المنيرة، تسود في ناظريها، فتتشاءم وتترك الإنسان مشرداً. وتجعل الخليقة جهازاً أبله فارغاً، بحيث أصبحت صفة التشاؤم المرة، واليأس المشؤوم الفلسفي، مهلكة روح قرننا وتفكيره. وصارت المذهب العام للمتنورين في عالمنا اليوم، وأضحت نسبة الجنون والانتحار تطرد مع الثقافة والحضارة والمدنية الكبيرة للإنسان اليوم،

وجعلت مستقبله رهيباً، قلقاً، مؤسفاً.

إن الإنسان، الذي تعلم هذه التجربة من التاريخ اليوم، وقف بكل ادراك ومعرفة، على مرض الحضارة المعاصرة وعيوبها. عاد يؤمل أن تحلق روحه بجنحي العقل والحس: تفكر بعقل (سقراط)، وتتعشق بقلب المسيح، وتعرف معرفة (ابن سينا)، وتبصر بصيرة أبي سعيد، يقي قواعد لمجتمع ليس منه حرمان الهند من الحضارة الكبرى في اوربا، ولا حرمان أوربا من المعنويات الهندية العميقة المهيبة. مجتمع جسده الحضارة وروحه الدين.

رسالة أولى الوعي الأصيل اليوم، إنما هي أن يقيموا الحضارة الأوروبية في الهند، ويشيعوا التصوف الهندي في هيكل اوربا وأن ينقلوا العقلية الشرقية إلى الغرب، وواقعية الغرب إلى شرق.

عليهم أن يمكنوا (شمس التبريزي) من إيقاد النيران في روح (ارسطو) وأن تسيل الدموع في عيون (بايكون) الجافة. عليهم أن يسلموا سيوف القياصرة إلى يد المسيح. وقلق الحلاج وشوقه في قلب (سقراط)، وأن تفتح (أثينا) باباً من أبواب (روما)، وأن يبنوا من مجلس شيوخ روما، وأكاديمية

أثينا، وكنيسة عيسى، «مسجداً». وكما يقول (الكسيس كارل):

«ليعرفوا جمال العلم، وجمال الاله. وليسمعوا أقوال (باسكال) كما يستمعون إلى (ديكارت)[١].

من الذي يصنع إنساناً كهذا؟ ليس من بين الإلهة إلاّ (الله). ومن بين الأنبياء إلا (محمد). ومن بين الكتب إلا (القرآن). ومن بين المدن إلا (المدينة) ومن بين المدارس الفكرية إلا (المسجد)، ومن بين الأئمة إلا (علي)؟

إن مستقبل الإنسان، الإنسان الذي «نصفه تراب، ونصفه إله» والذي هو موجود ذو بعدين، وأمله أن ينبت على جسمه جناحان، هو ذلك الذي، كما يقول فرانتز فانون[٢].

«تعالوا أيها الأخوة، لنكف عن تقليد اوربا، التقليد الذي يثير الغثيان ويذكرنا بالقرود. علينا أن لا نصنع من افريقيا وآسيا أوربا ثانية. إن العالم لتكفيه تجربة امريكا. لأجل أنفسنا، ولأجل أوربا، ولأجل البشرية، لا بد من خلق «فكر جديد». لا بد من صنع «جيل جديد». علينا أن نسعى لنقيم

---

(١) دعاء الكسيس كارل ـ ترجمة الكاتب، الطبعة الثانية، ص٦٧.

(٢) F. Fanon, Les Domne's de La Terre, conc Lusion

«إنساناً جديداً».

الإنسان الذي تعلّم تجربة «روما»، وأدرك تجربة «الهند». الإنسان الذي يكون الفرد منه بجناحين، ومجتمعه ببعدين.

كيف ستكون صورة هذا الإنسان؟

ـ راهب في الليل، فارس في النهار.

ودينه؟

ـ دين «الكتاب. الميزان. الحديد»[١].

---

(١) (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات، وأنزلنا معهم «الكتاب» و«الميزان» ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا «الحديد» فيه بأس شديد، ومنافع للناس، وليعلم الله من ينصره، ورسله بالغيب، إن الله قوي عزيز). سورة الحديد، الآية: ٢٥.

الفهرس